الخصائص اللّغويّة في الشّعر الشّعبيّ الدّينيّ الجزائريّ

The linguistic characteristics of Algerian popular religious poetry

أ.عزالدّين بن حليمة

جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله[1]

azzedinelettre10@gmail.com

تاريخ الاستلام: 18-05-2019 تاريخ القبول: 23-05-2019 تاريخ النشر: 2019/06/30

ملخّص:

تهدف هذه الدّراسة الموجزة إلى كشف بعض الخصائص اللّغويّة التي تشكّل إنزياحا لغويّا واضحا في الشّعر الشّعبيّ الدّينيّ الجزائريّ؛ الّذي تأثّرا كثيرا بالحركة الدّينيّة الّتي شهدها المغرب العربيّ منذ القدم؛ حيث نظمه الشّعراء الشّعبيون كلٌّ بلهجته الخاصّة دون التقيّد –في كثير من الأحيان- بنظام الشّطرين، والقوافي، والأوزان الشّعريّة التّقليديّة، وقد توصّلت هذه الدّراسة إلى رصد العديد من الخصائص اللّغويّة الملفتة للانتباه مع التّمثيل لها.

كلمات مفتاحية: الخصائص اللّغوية؛ الشّعر الشّعبي الدّيني؛ شعراء جزائريون، انزياحات لغوية.

Abstract:

This brief study aims at revealing some of the linguistic characteristics that constitute a clear linguistic shift in Algerian religious popular poetry; Which was greatly influenced by the religious movement witnessed by the Maghreb since ancient times; Where the popular poets organized all his own dialect without being bound - in many cases - the system of the two sides, and the traditional and weights of poetry, This study has identified many interesting linguistic characteristics with representation.

Keywords: *linguistic characteristics; popular religious poetry; Algerian poets; language shifts.*

---

[1]- المؤلف المرسل: عزالدّين بن حليمة ، الإيميل: ***azzedinelettre10@gmail.com***

***Résumé**:*

Cette brève étude a pour objectif de mettre en évidence certaines des caractéristiques linguistiques qui constituent un changement linguistique net dans la poésie populaire religieuse algérienne, qui a été fortement influencée par le mouvement religieux observé par le Maghreb depuis la nuit des temps. Comptines et poids poétiques traditionnels: cette étude a identifié de nombreuses caractéristiques linguistiques frappantes avec la représentation.

***Mots-clés**: caractéristiques linguistiques, poésie religieuse populaire, poètes algériens, changements de langue.*

1.مقدمة:

يعتبر الشعر الشعبي الدّيني والشّعر الشّعبيّ عامة من أهم أشكال الأدب الشّعبيّ ومظاهره، وإبداعا فنّيا شفويا –بالدرجة الأولى– يطلق على كلّ شعر منظوم بلهجة عامية من بيئة شعبية ما؛ فهو "يستمدّ كلماته، وألفاظه، وطريقة أدائه، ومعانيه، وأسلوبه، مِن الحياة العامّة أو الشعبيّة، حيث يُكتَب بكلمات من اللهجة المحكية بين الناس، ولا يستخدم الفصحى، لكنه يختار أجمل التوصيفات التي يقولها الناس في كلامهم ولهجتهم المحكية... والذين يكتبونه يُعبّرون عن أصالة الحارات الشعبية، وأزقة البيوت، وطبيعة الحياة، وصعوبتها في موضع، وجمالها، وسهولتها في موضع آخر."[1]

وقد اختلف الباحثون والدّارسون في التأريخ لنشأة الشعر الشعبي ووجوده في الجزائر، ويعود سبب ذلك "للإهمال الّذي لحق به من طرف المؤرّخين الّذين سكتوا عن ذكره رغم معايشتهم فترات ظهوره"[2]، وقد ارتبط ظهوره "بدخول الهلاليين إلى إفريقيا في منتصف القرن الخامس للهجرة، أو ربما قبل زحف بني هلال إلى الشمال الإفريقي"[3]، ومما "لا شكّ فيه أن ضعفَ الثقافةِ العربيّة في عصور الانحطاط، وفي عصر الأتراك ثم في عهد الاحتلال الفرنسي، ساعد على انتشار الشعر الشعبي الديني بمختلف موضوعاته وأغراضه؛ فظهر شعراء متصوفة أنشدوا قصائد ملحونة وموشحات وأزجالا"[4] كثيرة، كان لها تأثيرٌ كبيرٌ على الثقافة الشعبيّة في الجزائر، فمنذ أوائل القرن الثاني للهجرة والزّهاد وشيوخ الطُرق الدّينيّة يتّخذون عناصر الثقافة الشعبية عموما، والشعر الشّعبي خصوصا وسيلةً لمعالجة كثير من القضايا الاجتماعية والأخلاقية والسلوكية، وحتى السياسية أحيانا (خاصة في عصرنا هذا)، ولنشر تعاليم خطابهم الدّينيّ المتميّز عن غيره من الخطابات بالعديد من الخصائص اللّغوية والفنّية... وهو ما سنجتهد في كشفه وتوضيحه مع التمثيل في هذه الورقة البحثية الموجزة:

2– الخصائص اللّغويّة للشّعر الشّعبيّ الدّينيّ الجزائريّ:

شهد العصر الأدبي الحديث والمعاصر عدة تطورات ومستجدات كان من أهمها الميل إلى التعبير العامي السّهل، حيث مال بعض الشعراء والكتّاب إلى اللّغة العامية في أعمالهم الأدبية من أجل تسهيل عملية التواصل مع عامة الناس ومشاركتهم مختلف مشاعرهم وأحاسيسهم، واتسم الخطاب الشعري الشعبي الدّينيّ -على الرّغم من أنّه لا يقوم على قواعد لغوية دقيقة، إلا أنه يتّسم بجماليات لغوية عديدة لا يمكننا تجاهلها بأيّ حال من الأحوال، وسنسلّط الضّوء فيما يلي على جزء منها:

2-1. الألفاظ وبنيتها:

اللّفظ هو الحامل المادي والمقابل الحسّي المنطوق للمعنى الذي هو فكرة ذهنية مجردة، وأهم ما يميزه هو أنّه منطوق، وهذا ما أكّد عليه أغلب النّحاة في تعريفاتهم، فسيبويه يقصد باللّفظ العلامة الإعرابية أو الإعراب، لأنّه يرى أن الشكل اللفظي المتمثل في النصب يتبع معنى معينا ويوجه ويصحح عليه، كما أن الشكل اللفظي المتمثل في الرفع يتبع معنى معينا آخر ويوجه ويصحح عليه.

والمدقق في ألفاظ الشّعر الشعبي الدّينيّ وعباراته يلاحظ لا محالة تباينا بين لغة الشعراء الشعبيين؛ فمنهم من يمتلك رصيدا لغويا ثريا تظهر ملامحه في ثنايا السطور، ومنهم من تقل ثروته فتظهر ملامح الضعف في شِعره، وكلّ هذا راجع حسب تجربة وحنكة كل شاعر ودرجته العلمية والمعرفية، ومدى حسن اختياراته واستخدامه للألفاظ والعبارات، ويمكن أن نوجز أهم خصائص الألفاظ والكلمات في الشعر الشعبي الديني الجزائري فيما يلي:

2-1-1- اعتماد الألفاظ والكلمات الفصيحة أكثر من نظيرتها العامية، وقلّة استعمال الألفاظ الأجنبية وغيابها:

قد يتساءل القارئ كيف للشعر الشعبي أن تكثر فيه الكلمات الفصيحة أكثر من العامية؟ والحقيقة أن الإشكالية ليست في فصاحة الكلمات وإنما في تغيُّر بنيتها وحركاتها وسكناتها وزيادة حروف أو إنقاصها أوحذفها أو قلبها... وهو ما يجعلنا نظنّ أنّها غير فصيحة، ومن أدلّة كثرة الكلمات الفصيحة في الشعر الشعبي نذكر —على سبيل المثال لا الحصر- ما توصل إليه الباحث الجزائري المتخصص "عاشور سرمقة" في دراسة إحصائية أجراها على قصيدتين شعريتين، إحداهما لشاعر متقدم هو "**مبارك جعوان**" في قصيدة "**من جا لدار سيدي**"، وموضوعها حول مدح آل البيت وخاصة فاطمة الزهراء، والثانية لشاعر متأخر هو "**السّي عبد العزيز**" في قصيدة "**بسم الله بديت باب الله محلول**" وموضوعها حول ذكر الأولياء الصالحين ومكانتهم، وكانت نتائج الإحصاء كما يلي:[5]

القصيدة	مجمل الألفاظ	الفصيح	نسبته %	العامّي	نسبته %	الأجنبي	نسبته %
ق01	103	78	75.72	25	24.27	00	%0
ق02	107	83	77.57	24	22.42	00	%0

نلاحظ فعلا غياب الألفاظ الأعجمية في القصيدتين، وأن مجمل عدد الألفاظ الفصيحة أكثر من الألفاظ العامية، وهذا يكشف لنا حقيقة مدى أصالة ألفاظ الشعر الشعبي الديني وفصاحتها، عكس ما يعتقده كثيرنا حول هشاشة لغته وعاميتها.

2-1-2- عدم تغيّر استعمال بعض الحروف بين العامية والفصحى:

ونخص بالذكر هنا "**ياء النداء**" و "**حرف العطف الواو**"، فهما من حروف المعاني التي لا يتغير نطقها بين الاستعمال الفصيح ونظيره العامي، ودليل هذا مثلا قول الشاعر "**أحمد خُذَير بن داود**" الّذي لم يتغير فيه الحرفان لفظا وكتابة، يقول:

يا ربِّي يا خالْقـــــــــي يا مُولاي وَلْهَـرْبه مُحـال من غِيــركْ لوينْ

باقي زوره زينة ولزياره نيه وفرض دليـــــــــــــنا بيت رب العالمين

بعد لموقف تلحقو سيد رقية وفي لمدينة سيدنا صاحب جبرين

من بحبح ودعنا الناس كليه ونفيت لدنيا وفـــراق لوطن لـــــــزين

وأولاد صلاح ياسر لوليا ونبقيكم بالسلامه يا صُلّاح ولنعاس لزين[6]

نلاحظ فعلا أن ياء النداء وحرف العطف الواو لم يتغيرا في استعمالهما بين الفصحى والعامية كتابة ونطقا، على عكس كثير من الحروف؛ فحرف الجر "مِن" مثلا لم يتغير كتابة، ولكنه نطقا يُلفَظ بفتح حرف الميم وتسكين النون "مَنْ" وهذا لا يتوافق مع نطقه في اللغة الفصحى.

2- 1-3- إبدال حرف بحرف آخر:

وفي هذه الحالة يستبدل الشاعر حرفا بحرف آخر؛ لتسهيل عملية نطق الكلمة، ودليل هذا مثلا قول الشاعر "معمر بن صالح":

بَاسْمْ الله الْعَظِيْمْ جَل جْلاْلُو لَيْـس اَشْبِـيه في مُلْـكُه وَاحَـدْ

قَـادَرْ، فَاعَـــلْ مْرِيدْ امْسَـالِي رَافَعْ سَبْعْ اطْبَاقْ مَنْ غِيْرْ عْمَدْ

جَـــاعَلْ فِيْهَا ابْرُوجْ هَكْذَا قَالِي تَجْرِي عَنْـهَا افْلَاْكْ دَايَـمْ لَلْأَبَد [7]

نلاحظ أن الشّاعر قد قام بقلب الهاء في آخر كلمة "**جلاله**" إلى "**واو**" فأصبحت "**جلالو**"، كما قام بإبدال حرف ألف المدّ في كلمة "**أبراج**" إلى حرف "**الواو**" فأصبحت "**ابروج**".

2- 1-4- التقاء الساكنين:

تعدّ ظاهرة التقاء الساكنين من أهم ما يميّز الشعر الشعبي عامة سواء كان دينيا أو غير ذلك، وهي ظاهرة لغوية عادية تَرِد فيه كثيرا؛ فلا تخلو أيّ قصيدة شعرية منه، والتمثيل لها بسيط؛ ولنلاحظ البيتين المواليين مثلا، يقول الشاعر:

بُوبَكْرْ وَاعْمَرْ بِأَفْعَالَهْ،هُمَّ قَايْمِـينْ عَثْمَـــانْ وَعْـــلِي يُـــوسَفْ الْتَـــيَارْ

بَاعُوا نْفُوسْهُمْ بِالْجَنـــةْ مَتْمَـــتْعِينْ وَشْرَاوْ قْصُورْ سَعْدْ فِيْ ذِيكْ الْدّارْ [8]

نلاحظ مثلا أن حركة حرف فاء كلمة "يوسف" جاء ساكنا، وما بعده ساكن أيضا، ونلاحظ أيضا أن حرفي الكاف والراء في كلمة "**بوبَكْرْ**"، وحرفي العين والدال في كلمة "**سعْدْ**" قد جاءا ساكنين، إضافة حرف "الواو" من الفعل "**باعوْا**" مع حرف "**النون**" من كلمة "**نْفوسْهم**"، وحرف "الواو" من الفعل "**شراوْ**" مع حرف "القاف" من كلمة "**قْصور**"، وكل هذا مخالف لنظام اللّغة العربية الفصيحة التي لا يمكن أن يتوالى فيها ساكنين متتابعين.

2- 1-5- إسقاط الهمزة:

وتعدّ هذه الظاهرة أيضا من أهم سمات الشّعر الشّعبي عموما، ويعمد الشعراء إليها أثناء إلقائهم لأشعارهم، تسهيلا للنّطق وتماشيا مع خصوصيّة اللّهجة العامّية، فلا يكاد يخلو بيت شعريّ - تَرِدُ فيه - من إسقاطها رغم أنّها تكتب في كثير من الأحيان، ودليل هذا مثلا قول الشاعر "عبد الحق القاضي":

قومْ عـــــادْ وثمودْ وينْ الأولْ والثاني قَيْصَـــر وكِسْـــرى ما بْقَـات لِيهُمْ جْرا

فكلمة "**الأول**" تسقط فيها الهمزة نطقا، رغم أنها مثبتة كتابة، وتنطق "**لاماً**" بدل الهمزة.

2-1-6- نداء المُعَرَّف بـ "ال" التعريف بـ "يا" مباشرة:

من المتفقّ عليه في اللّغة العربيّة الفصحى أنّه لا يصح منداة المعرَّف بـ "**ال**" التعريف مباشرة بأداة النداء "**يا**"، وإنما نتوصل إلى ذلك بإضافة (**أيّها**) للمذكر، و"**أيتّها**" أو اسم إشارة مناسب، لكن هذه القاعدة يمكن تجاوزها في الشعر الشعبي الدّينيّ الجزائريّ، ودليل هذا مثلا قول الشاعرة "**نانا عائشة**"[9] في مدح الأولياء الصالحين:

يا السَّـــالْكين بالكْـمالْ بْغيتْ فيكُم قاعْ المَعرُوفْ

يا المَجْدوبين أهْل الحالْ يا سْيادِي قلْبي مَلْـهُوفْ[10]

نلاحظ أنّ كلمتي: "**السّالكين**" و"**المجدوبين**" جاءتا مسبوقتين بأداة النداء "**يا**" رغم أن كلٌّ منهما اسم مُعرّف بـ "**ال**" التعريف، وهذا مخالف للقواعد الأصلية للّغة العربيّة الفصيحة التي لا يمكننا المناداة فيها بهذه الطريقة.

2-1-7- إسقاط بعض الحروف:

يلجأ الشعراء الشعبيون في بعض الأحيان إلى إسقاط بعض الحروف من الكلمات؛ مثل إسقاطهم للهمزة منها، وكل هذا بهدف تسهيل النطق كما سبق وأن أشرنا، ودليل هذا مثلا نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما قالهاابن مسايب -وشِعره كثير في هذا الشأن- في مدح رسول الله في مطلع قصيدة "**بدر الدّجى عسّاس**":

حُبِي مـــنْ نَهْـــــــــــوَاهْ بْدَرْ اَلَبْـدُورْ

سَبْحَـــــانْ مَنْ عْلاَهْ فَـاقْ كُلْ نُـــورْ

عَزّو اَلكْريم وَ عْطَاهْ زْهُورْ الْصْـدُورْ [11]

نلاحظ أنّ الشاعر قد حذف حرف الهمزة من الكلمات "علاه" و "عزّو" و "عطاه" الواردة في السطرين الثاني والثالث، لأنها في حالة فصاحتها تكون بصيغة " أعلاه " و " أعزّه " و " أعطاه " على الترتيب.

2-1-8- زيادة بعض الحروف:

تعدّ هذه الظاهرة أيضا من سمات الشعر الشعبي الدّينيّ، فكما يحذف الشعراء بعض الحروف من الكلمات، يضيفون إلى بعضها الآخر حروفا أخرى وخاصة حروف المدّ، يقول الشاعر مثلا:

جَابْ لِيه أَعْظمْ مَنْ الْقْبَرْ لاحُوْ في حْـــجَرْ بَالقْــدَر

نلاحظ أن الشاعر قد أضاف الهمزة إلى كلمة "**عظم**" فأصبحت "**أعظم**".

2-1-9- تسكين الكلمات:

وتعدّ هذه الظاهرة من أبرز سمات الشعر الشعبي عموما ومن لوازمه، فالشاعر لا يتقيّد بقواعد النّحو أساسا، ويقوم بتسكين الكلمات سواء كانت أسماء أو أفعالا أو حروفا؛ فالفعل المضارع مثلا يأتي ساكنا وإن لم تدخل عليه إحدى أدوات الجزم، والفاعل ساكن، والمبتدأ ساكن، والمنادى ساكن، وهلم جرّا... ولا تخلو أيّ قصيدة شعرية من هذه الظاهرة، ولنلاحظ قول الشاعرة "نانا عائشة" مثلا:

يا السَّـالْكينْ بالكْـمالْ بْغيتْ فيكُمْ قاعْ المَعرُوفْ

نلاحظ جليا أنّ الشاعرة قامت بتسكين كلّ الألفاظ والكلمات باختلاف أنواعها.

2-2- الأساليب والجُمَل:

يتميّز الشعر الشعبي الدّينيّ الجزائري كغيره من الأغراض الشعرية بثراء وتنوع أساليبه وجمله، وطبيعة مواضيعه، وخصوصية كتابة كل شاعر هي التي تفرض تغلُّبَ وُرود عنصر على حساب آخر، ولا يسعنا في هذه الدراسة الموجزة أن نتطرّق إلى كل الخصائص الأسلوبية واللّغوية، ومما يلفت الانتباه عامة هو **كثرة الأساليب الإنشائية** على حساب الأساليب الخبرية؛ التي ترد غالبا حينما يصف الشاعر شخصية ما أو يقرّ حقائق عنها، ومن خصائص أساليب وجمل الشعر الشعبي الديني الإنشائية نذكر ما يلي:

2-2-1- كثرة أسلوب النداء:

يعتبر النداء من أبرز الأساليب حضورا في معظم قصائد الشعر الدّينيّ عموما، وإضافة إلى وظيفته الأساسية (وهي لفت الانتباه)، عادة ما يحمل أغراضا غير النداء في هذا الغرض الشعري (ذي البعد الديني بالدرجة الأولى) خاصة الدعاء والتوسل، ومن الصيغ الأكثر شيوعا؛ نجد مثلا: **يا ربي، يا خالقي، يا رسول الله، يا حبيب الله، يا سراج، يا النبي، يا الهادي، يا سيادي، يا أهل الشرف،...**

ولنلاحظ مثلا بداية قصيدة "**باقي زوره زِينَة ولَزياره نيه**" للشاعر: "**أحمد خُذَير بن داود**"[12]التي يناجي في مستهلّها ربه مودعا أهل منطقته ووطنه، ومن الشّعر الواصف لرحلة زيارة البقاع المقدسة نذكر على سبيل المثال لا الحصر يقول الشاعر:

يا ربِّي يا خالْقي يا مولاي وَلهَـرْبه مُحـال من غِيـــركْ لوينْ

باقي زُورَه زِينَة وْلَزياره نِيَّه وفرضْ دَلَيْـنا بَيتْ ربّ العالَمِـين [13]

2-2-2- كثرة أسلوب النهي:

يُعد أسلوب النّهي أيضا من الأساليب الأكثر ورودا في الشعر الشعبي الدّينيّ الجزائري وتداولا فيه، وذلك لتناسبه مع هدف وأبعاد هذا الغرض الشعري أساسا؛ الذي لا يخلو من النصح والإرشاد والوعظ في قصائده قديمها وحديثها، ومن الصيغ الأكثر شيوعا واستعمالا لهذا الأسلوب نجد مثلا: **لا تستهزا ، لا تَتْغرْ (من الغرور)، لا تكونْ، لا اتَّبَعْ (لا تتبع)، لا تَنْسَ، لا تَسْتهويكْ الدنيا، لا تَتْعجَّلْ، لا تَغْفَلْ...**

2-2-3- كثرة أسلوب الأمر :

وهو من الأساليب البارزة أيضا في الشعر الشعبي الدّينيّ الجزائري، وكثرة وروده أيضا لها مبررها؛ فهو مناسب للنّصح والإرشاد، والتذكير وتنبيه الغافلين والمغترين بالحياة الدنيا، ومن الصيغ الأكثر استعمالا نذكر ما يلي:

اتفكرْ، كُونْ (كنْ)، صارحْ نفسك، ديرْ (اعملْ و افعلْ)، عاونْ، استغفرْ، توبْ، حاسبْ، ارحَمْ، جاهدْ نفسك، استرْ،...

ولنلاحظ الأبيات الآتية للشاعر "**لخضر بن خلوف**" مثلا:

توب للي خلقك وانشاك بالثوب كساك باللّـــــــحم والدم سقاك زكي قادر[14]

ويقول ناصحا في بيت آخر:

دير بالآية وجـــــــانب طريق العصيان وانظـــــر ما قال في الكـــــــــتاب[15]

ويقول أيضا طالبا الستر من الله:

اســـــتر يا ســـــــــتار عيـــبي لنضـــــــــــحى للنـــــاس عَجبا[16]

2-2-4- اقتباس الجُمل والعبارات من القرآن الكريم:

يُعد اقتباس الجمل والعبارات(وحتى الألفاظ) من القرآن الكريم من أكثر الانزياحات اللّغوية والأسلوبية ورودا في الشعر الشعبي الديني الجزائري، وطبيعة مواضيع هذا الغرض الشعري هي التي تفرض على الشاعر هذا الاقتباس، ولنلاحظ مثلا قول الشاعر لخضر بن خلوف الذي يشتهر بتوظيفه للمعجم القرآني للألفاظ والعبارات، يقول:

منـــور الآفـــاق بالوقـــاد أنا تكـــلي على قل هـو الله

من خصص المرسلين الأحـــد الله بنـــعم الآيات والرشاد

الصمد لم يلـد الواحـــد الله ولم يكـــن له كفـؤا أحد

سبحانه الجليل الفرد الصمد لم يلـــــد ولـــم يـــولد

ولم يكـــــــن له كفؤا أحد أنت العـــزيز يا مـــحمد[17]

نلاحظ أن هذه الأبيات فيها اقتباس مباشر من سورة الإخلاص بنسبة كبيرة، وهذا مصداقا لقوله تعالى: "**قل هو الله أحد الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد.**" سورة الإخلاص.

ولنلاحظ قوله أيضا:

في حق المصطفى وسيدنا جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل

وإبراهيم وإسحاق وإسمـــــاعيل وبيعقـــــــوب والمـــاواري

سيدنا يوسف من خيار الأصـــفيا وابن عمـــران يا الـــــباري

وبعيـــــسى المســـــــيح وزكريا ارحم يـــو م نزور قـــــبري[18]

في هذه الأبيات نلاحظ أن الشاعر قد اقتبس من القرآن الكريم لأن ذكر أسماء الأنبياء والرسل بهذا الترتيب مشابه لذكر ترتيبها في العديد من الآيات القرآنية، فمثلا يقول تعالى في محكم تنزيله: "قولوا أمنا بالله وبما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم...."[19]

2-2-5- التقديم والتأخير:

تعتبر ظاهرة التقديم والتأخير للألفاظ من أهم الظواهر اللغويّة الّتي تمس جمل وعبارات الشعر الشعبي الديني، والنّص الشعري عموما، فهي عملية سابقة تحدث في ذهن المبدع قبل حدوث عملية الكلام والنطق به؛ حيث يترتب عنها دلالات مخصوصة لا نلتمسها في حالة الترتيب النحوي المعياري لتراكيب الجمل والعبارات، وقد وصف **عبد القاهر الجرجاني** هذا الباب بأنه "كثير الفوائد جمّ المحاسن واسع التصرّف بعيد الغاية لا يزال يغترّ لك من بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه ثم ينتظر فتجد سبب أن راقك ولطُف عندك، أن قُدم فيه شيء، وحُوّل اللفظ من مكان إلى مكان"[20]، وهذا يعني أنه الجملة أحيانا لا تحتفظ بالترتيب النحوي لعناصرها الأصليّة والفرعيّة، ويرجع هذا إلى قواعد لغويّة تجوز أو توجب تقديم بعض الكلام على بعض أو إلى الموقف الكلامي أو المقامي الّذي يفرض على المتكلم أن يراعيه.[21]

ويعتبر التقديم والتأخير من المسالك الّتي تدلّ على مهارة الشاعر وقدرته على التفنن في استخدام المفردات والتراكيب لأنّ فيه انزياحا عن المألوف والمعتاد، وفيه تنشيط لذهن المتلقي وتحفيز حواسه للبحث عن الحركات اللّغوية الطارئة، والمخالفة للسياق العام الّذي يعتبر كأنه هدوء عام في المناخ اللّغوي.[22] وهذا الباب كما وصفه الجرجاني أيضا من الظواهر الّتي تناولها الدرس النحوي والبلاغي العربي، وهي ظواهر تمس التركيب، فالجملة العربيّة لا تتميز بحتمية في ترتيب أجزائها، وإن كان النحو يشير إلى رتب تُحفظ بالنسبة لأجزاء الجملة، والانزياح عن هذه الرتب يعدّ خروجا من الوظيفة النحويّة للّغة إلى الوظيفة الشعريّة لها.[23]

وبناء على كلّ هذا؛ فالشعراء لا يمكنهم أن يستغنوا عن التقديم والتأخير في أشعارهم لِما يضفي هذا الأخير على نصوصهم من حلاوة وتشويق وحصر للمعاني وتخصيص لها، فالشاعر مثلا لا يستطيع أن يورد عناصر الجملة وأركانها مرتبة ترتيبا نحويا صحيحا في كلّ جمل وعبارات قصيدته؛ لأنّ ذلك يجعل من أسلوب تعبيره ضعيفا غير مشوق وغير بليغ.

ويشكّل التقديم والتأخير سمة لغوية أسلوبيّة بارزة الشعر الديني الجزائري، وحالاته كثيرة ولا يمكننا أن نفصل فيها كثيرا في هذه الورقة البحثية الموجزة، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر مايلي؛ يقول ابن مسايب في قصيدة "**إليك نشكي بأمري يا وحداني**":

يا الله عبدك طلـــبك ارزقه ما يتـــــــــمنى
نحب تجعلي مســـلك باش ندخل الجـــنة
ولا تنســـــى لي ذكرك به قلـــــــبي يتـــــهنى[24]

نلاحظ في هذه الأبيات أن الشاعر قد قام بتقديم وتأخير بعض أركان الجمل وتوابعها على بعضها الآخر؛ ففي البيت الأول قدم الفاعل "**عبدك**" على الفعل والمفعول به "**طلبك**"، والترتيب الأصلي لأركان الجملة هو من المفروض "**طلبك عبدك**"، وسبب هذا التقديم لأجل استقامة الوزن من جهة، ولأجل التأكيد على الطالب "**عبدك**" (أي الشاعر ذاته) وحاجته إلى المستعان به، أما في البيت الأخير؛ ففيه تقديم وتأخير في الشطر الثاني منه، حيث قدم الشاعر الجار والمجرور "**به**" والفاعل "**قلبي**" على الفعل "**يتهنى**" لأجل استقامة الوزن من جهة، ولأجل فائدة بلاغية تتمثل في إبراز أهمية ذكر الله والمستفيد منه، وهو إراحة قلب الشاعر وبث الطمأنينة فيه.

3- خلاصة:

يعدُ الشعر الشعبي الديني الجزائري من المواضيع الثرية القديمة والمتجددة في آن واحد، وهو ظاهرة أدبية فنية تخص الثقافة الشعبية المغاربية؛ لا يمكننا تجاهلها في أيّ حال من الأحوال؛ لها أعلامها وخصائصها شكلا ومضمونا، وقد توصلت هذه الدراسة إلى أن أهم خصائص لغتها الشعرية هي: ظاهرة التسكين والتقاء الساكنين، وإسقاط بعض الحروف، أو زيادتها، أو إنقاصها، وكثرة الألفاظ الفصيحة، والأساليب الإنشائية وبخاصة الامر والنهي بغض النصح والإرشاد، وأسلوب النداء بغرض بلفت الانتباه، وكثرة الاقتباس من القرآن الكريم، واللجوء إلى ظاهرة التقديم والتأخير لأركان الجمل لأغراض بلاغية معينة يتطلبها السياق والمقام وموضوع القصائد عامة ...

4- الهوامش:

- القرآن الكريم برواية حفص.

1- ينظر.. فاطمة مشعلة: مفهوم الشعر الشعبي، نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://mawdoo3.com، تاريخ النشر: 30 سبتمبر 2019، تاريخ الاطلاع: 09 ماي 2019.

2 - ينظر.. سالم بن لباد: تمثلات الشعر الشعبي لشخصيات سياسية: الشيخ بوعمامة، ابن باديس، عبد العزيز بوتفليقة، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2012- 2013، ص20

3 - شقرون غوتي: الأغنية البدوية بين فترتي الثورة والاستقلال، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، الجزائر، 2005، ص45.

4 - عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص366

5 - للإطلاع على نتائج الدراسة مفصلة ينظر .. عاشور سرقمة، الشعر الشّعبي الدّيني في منطقة توات، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، الجوائر، 2004/2003، ص54-57.

6 - عبد الرحمن خذير: تحفة الزهد في قوال الشعر الشعبي دراسة لقصيدة الشاعر احمد خذير، نقلا عن الموقع الإلكتروني: http://www.aswat-elchamal.com، تاريخ النشر: 04 سبتمبر 2013، تاريخ الاطلاع: 15 ماي 2019.

7 - عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص502.

8- المرجع نفسه، ص390-391.

9 - نانا عائشة: شاعرة شعبية من منطقة توات بولاية أدرار الواقعة جنوب غرب الصحراء الجزائرية، نظمت حوالي 110 قصيدة شعبية حسب ما يروي عنها حفدتها.

10 - القصيدة المأخوذة منها هذين البيتين موجودة كاملة في مدونة خاصة بـ (السّيد محمّد جعفري بوده) حفيد الشّاعرة "نانا عائشة" بمسقط رأسها (منطقة توات).

11- ينظر.. بخوشة محمد، **كتاب الحب والمحبوب** ، دار ابن خلدون، تلمسان، الجزائر ، 2004 ، ص70.

12- أحمد خُذَير بن داود: شاعر جزائري مولود سنة 1884م ببادية حاسي بحبح المعروفة باسم الخرزة، عاش حياة بدوية كفلاح ينتقل بين الأرياف في رعي الاغنام وتربيتها وزراعة الارض وحرثها والاسترزاق، كان والده شاعرا وابنه شاعرا أيضا، توفي سنة 1956 بحاسي بحبح بولاية الجلفة.

13 – قصيدة "باقي زوره زِينَة ولَزياره نيه": للاطلاع على القصيدة ينظر.. خذير عبد الرحمن: تحفة الزهد في قوال الشعر الشعبي http://www.aswat-elchamal.com، تاريخ النشر: 04 سبتمبر 2013، تاريخ الاطلاع: 17 ماي 2019.

14 – جمعية آفاق: ديوان سيدي لخضر بن خلوف، حياته وقصائده، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2006، ج1، ص50.

15 – المرجع نفسه، ص65.

16– المرجع نفسه، ص 91.

17 – ينظر.. مختارية بن قبلية: المعجم الديني في شعر لخضر بن خلوف، مجلة الموروث، جامعة مستغانم، الجزائر، ع1، 2012، ص145.

18 – المرجع نفسه، ص151.

19 – سورة البقرة، الآية 136.

20– عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، قراءة وتعليق محمود شاكر، مكتبة الخانجي ومطبعة المدني، القاهرة، مصر، 1984 ، ص106.

21– يُنظَر: نورالدين السد: **تحليل الخطاب الشعري "رثاء صخر أنموذجا"**، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر 02 ، ع8، 1996، ص126.

22– يُنظَر: سامي حماد الهمص، **شعر بن أبي خازم دراسة أسلوبيّة**، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، 2007. ص188.

23– يُنظَر: محمد كراكبي، **خصائص الخطاب الشعري ديوان أبي فراس الحمداني**، دار الهموم، بوزريعة، الجزائر، 2003، ص22.

24– عبد العزيز الرستمي: ديوان بن مسايب، نقلا عن موقع منتدى الجلفة: www.djelfa.info ، قسم الشعر الشعبي، تاريخ النشر: 05 سبتمبر 2012، تاريخ الاطلاع: 18 ماي 2019.

5. قائمة المراجع:

1– فاطمة مشعلة: مفهوم الشعر الشعبي، نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://mawdoo3.com، تاريخ النشر: 30 سبتمبر 2019، تاريخ الاطلاع: 09 ماي 2019.

2 – سالم بن لباد: تمثلات الشعر الشعبي لشخصيات سياسية: الشيخ بوعمامة، ابن باديس، عبد العزيز بوتفليقة، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2012– 2013.

3 – شقرون غوتي: الأغنية البدوية بين فترتي الثورة والاستقلال، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، الجزائر، 2005.

4 – عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009.

5 – عاشور سرقمة، الشعر الشّعبي الدّيني في منطقة توات، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، الجوائر، 2004/2003.

6 – عبد الرحمن خذير: تحفة الزهد في قوال الشعر الشعبي دراسة لقصيدة الشاعر احمد خذير، نقلا عن الموقع الإلكتروني: http://www.aswat-elchamal.com، تاريخ النشر: 04 سبتمبر 2013، تاريخ الاطلاع: 15 ماي 2019.

07- خذير عبد الرحمن: تحفة الزهد في قوال الشعر الشعبيhttp://www.aswat-elchamal.com ، تاريخ النشر: 04 سبتمبر 2013، تاريخ الاطلاع: 17 ماي 2019.

08 – جمعية آفاق: ديوان سيدي لخضر بن خلوف، حياته وقصائده، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2006، ج1.

09 – مختارية بن قبلية: المعجم الديني في شعر لخضر بن خلوف، مجلة الموروث، جامعة مستغانم، الجزائر، ع1، 2012.

10- بخوشة محمد، **كتاب الحب والمحبوب** ، دار ابن خلدون، تلمسان، الجزائر ،2004 .

11- عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، قراءة وتعليق محمود شاكر، مكتبة الخانجي ومطبعة المدني، القاهرة، مصر، 1984 .

12- نورالدين السد: **تحليل الخطاب الشعري "رثاء صخر أنموذجا"**، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر 02 ، ع8، 1996.

13- سامي حماد الهمص، **شعر بن أبي خازم دراسة أسلوبيّة**، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، 2007.

14- محمد كراكبي، **خصائص الخطاب الشعري ديوان أبي فراس الحمداني**، دار الهموم، بوزريعة، الجزائر، 2003.

15- عبد العزيز الرستمي: ديوان بن مسايب، نقلا عن موقع منتدى الجلفة: www.djelfa.info ، قسم الشعر الشعبي، تاريخ النشر: 05 سبتمبر 2012، تاريخ الاطلاع 18 ماي 2019.